الـولادة الـثانيـة

الشيخ جعفر المهاجر

كان لا بد من شهد ذلك اليوم من أن يكون عارفاً بما قبله لكي يدرك مغازيه. ذلك الحشد من رفاق السيد موسى الصدر وأبنائه يتكاتفون لكي يمنحوا المؤسسة الأولى مما بناه عزماً جديداً، لكأن موسى الصدر قد عاد من رحلته الطويلة بآمال جديدة. كأن غيابه كان حلماً رديئاً، انتبهنا منه فإذا هو أضغاث أحلام.

كأن موسى الصدر ينتخب موسى الصدر لولاية جديدة لا تنتهي.

لقد كانوا جسماً واحداً يتآزر وهو يبني.

الحمدلله، وله الشكر، نردد وراء نبي الله إبراهيم عليه السلام وهو يبني المسجد: (ربنا تقبل منا، إنك أنت السميع العليم).

ذلك الإجماع الرائع، الذي تجلى بكامل بهائه، عميق المغازي يشير أول ما يشير إلى مستوى الوعي السياسي الذي تحلى به المشاركون، وضمناً من وراءهم، لقد استوعبوا جميعاً تجارب الماضي القريب والأبعد قليلاً.

أعادتني فكرة النقلة المستقبلية إلى بعض ما كنت قد سجلته في ماضي الأيام، جرياً على عادة حميمة لدي، أثبت فيها أحداث يومين، بدا لي في حينها أنها ستكون ذات قيمة تاريخية. وطبعاً لم يكن يخطر ببالي آنذاك لأنني سأكون أول من يعود إليهم بعدما يقرب من عقدين، إعادة الذين يسجلون الأحداث بحس تاريخي يتكبون لغيرهم.

اليوم الأول: 16 نيسان 1970، يومها كان المجلس ومؤسسه قد اجتازا مشكلة أعقد، هي الاعتراف بوجاهته من فريق واسع من علماء الدين، رأى فيه اختراقاً سلطوياً لجسم كان دائماً يرتاب بكل ما له علاقة بالسلطة. في ذلك اليوم وقف الإمام الصدر، في مركز إحدى الجمعيات، يشرح لزملائه المتوجسين فكرته ومسوغاتها، وكان أبرز ما قاله: إن الوظيفة التي على المجلس أن يقوم بها، هي تنظيم الطاقات والكفاءات عند أبنائه، وذلك أمر لا يمكن الوصول إليه من دون مؤسسة تجمعهم وتوجههم للخير العام.

اليوم الثاني: العاشر من شهر رمضان من العام نفسه، في ذلك اليوم أدب الإمام للإفطار في مقر المجلس في (الحازمية) واذكر أن عدد الحضور كان ضئيلاً بالقياس إلى من وجهت إليهم الدعوة، الامر الذي بدأ في عدد المقاعد التي بقيت شاغرة، ووقف الإمام يتحدث بعد المأدبة، حديثاً بدا وثيق الصلة بالمقاعد الشاغرة، أكثر مما هو بالحضور، قال إن المجلس ليس بديلاً عن أحد، ليس بديلاً عن علماء الدين وليس بديلاً عن القادة السياسيين، ولكنه إطار يجمع الجميع، ويلتقي في الجميع وواضح أن الإمام كان يريد أن يطمئن الجميع إلى أنه لا يسعى إلى إزاحة أحد عن موقعه، كما أنه لا يعمل على تغليب فريق على آخر.

لست استعيد ذكرى هذين الموقفين لمجرد التذكار، على أنها ذكريات عزيزة، بل لأنني اعتقد جازماً أن ما رأى إليه الإمام بنظرة الثاقب، قد غدا اليوم أكثر إلحاحاً. وفي الوقت نفسه أقرب منالاً.

معلوم أن الحرب الأهلية ومضاعفاتها السياسية والأمنية، قد حالت دون المطلبين معاً. حالت دون أن يكتسب المجلس صفة المؤسسة. وحالت بالتالي دون أن يصبح الإطار الشامل الجامع، الذي يجمع بداخله ذوي الإطار، ليعطوا خير ما عندهم.

أما الآن، وبعد ولادته الثانية، في ذلك لاجو الذي لم تشبه شائبة، فإن من حق المجلس على نفسه، ومن جق أبنائه عليه، أن يكون المولود كاملاً، وإن توفر له كل الشروط لينمو ويستتم بسرعة، ويعوض ما فاته في سني المحنة. محنته هو ومحنة الوطن.

وأنّا لنا برئاسته الجديدة ـ كامل الثقة.